جمهورية العراق
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التأريخ
الدراسات العليا – ماجستير تاريخ حديث

مادة عصر النهضة

محاضرة

(صلح ويستفاليا)

الأستاذ الدكتور
حارث عبدالرحمن الطيف

العام الدراسي
٢٠٢٥-٢٠٢٦

صلح ويستفاليا

معاهدة ويستفاليا :-

ابتدأت محادثات الصلح في ويستفاليا عام ١٦٤٨م في مدينتي مونستر واسنابروك إذ كانت الولايات الألمانية تطالب بالصلح، وبإيجاد تسوية دينية نهائية وإصلاح الإمبراطورية الرومانية المقدسة، في حين أصرت فرنسا والسويد على أن تشترك الولايات الألمانية في المفاوضات على انفراد لتفتيت القوى، وهو مبدأ رحب به الأمراء الألمان بحماس ولكن الإمبراطور قاومها من غير جدوى. وقد تدفق بسبب ذلك مئات الدبلوماسيين والمفاوضين على ويستفاليا ممثلين عن أنحاء الإمبراطورية .

كان صلح وستيفاليا يمثل خطة عامة للقضاء على حركة مقاومة الإصلاح الديني في ألمانيا، فلم يكتف بالتأكيد على شروط صلح اوغسبرغ من جديد فقط، وهي منح كل ولاية ألمانية الحق في تعين الديانة التي يريدها، ولكنه أضاف الديانة الكلفنية إلى الديانتين اللوثرية والكاثوليكية واعترف بها دينً ثالثاً، وقد انتصر البروتستانت انتصاراً كاملاً بالنسبة إلى نقطة الخلاف حول علمنة المقاطعات التابعة للكنيسة .

وضعت معاهدة ويستفاليا حداً للفوضى في أوروبا، إذ كانت أوروبا قد تحولت إلى خرائب ويقدر المؤرخون أن ثمانية ملايين شخصاً هلكوا في هذه الحروب فضلاً عن (٣٥٠) ألف جريحاً، وفي قسم واحد من أقسام مقاطعة تورانج **"Thuringe"** لم يبق من أصل (١١١٧) منزلاً تؤلف (١٩) قرية ألا (٦٢٧) منزلاً، وفي بوهيميا لم يبق سوى (٦٠٠٠) قرية صالحة للسكن من أصل (٣٥) ألف قرية، وهبط عدد السكان من مليوني مواطن إلى (٧٠٠) ألف مواطن، وخلال الحرب لم يكن أكل اللحوم البشرية مجهولاً وقد سيطر على المواطنين الأيمان بالخرافات وممارسة السحر إلى حد وصل عدد المحترفين بالسحر إلى ألف شخص وذلك مابين عامي (١٦٤٠-١٦٤١) .

كانت وحشية هذه الحرب هي التي أبرزت التناقض فيما بينهما وبين الممارسة الأكثر إنسانية للحرب في ايطاليا خلال القرن الخامس عشر، ففي فلورنسا وميلانو وفي غيرها من الأقاليم كان الحكام المستبدون المحليون يعتمدون في حروب الأحزاب والفئات الممزقة على المرتزقة المهتمين لصناعة الحرب والمتمرسين فيها والتي كان يستأجرهم، وكان هؤلاء الجنود لا يقاتلون ألا بغرض الكسب المادي وكانوا يستطيعون بيع خدماتهم في سنة من السنين لأمير ثم

يبيعونها في العام التالي لخصمه الذي كان يحاربه، وكانت الحرب بالنسبة إليهم حرفة وفناً في الوقت ذاته .

وبالتالي كانت معاهدة ويستفاليا التي أنهت حرب الثلاثون عام في الحقيقة معاهدتين: وقعت الأولى في مدينةِ ميونستر **"Münster"** الواقعة غرب ألمانيا، بين الإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة وملك فرنسا فضلاً عن حضور حلفاء كلا الطرفين، والثانية وقّعَت في مدينة اسنابروك **"Osnabrück"** الواقعة شمال غرب ألمانيا، بين الإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدّسة وملكِ السويد فضلاً عن حضور حلفاء كلا الطرفين، وقد أنهت هاتين المعاهدتين النزعات والخصومات الدينية والذي أبقى أوروبا في حالة حرب لمدة ثلاثين عام .

ونتيجة المفاوضات تم الاتفاق على الشروط النهائية للمعاهدة والتي يمكن إجمالها بالاتي:

١- لابد أن يكون هناك سلام نصراني وعالمي دائم، وصداقة مخلصة، بين فخامة إمبراطور الإمبراطوريةِ الرومانية المقدّسةِ، وبين جميع الحلفاءِ الذين شاركوا في الحرب.

٢- تستولي فرنسا على الالزاس وأعالي الراين، وتحتفظ بـ(هتز وتول وفردان) وهي المناطق التي سبق أن استولت عليها خلال الحرب .

٣- تستولي السويد على النصف الغربي من بوميرانيا وبعض الأسقفيات وتتحكم بمصبات الأنهار في الإمبراطورية .

٤- يتم ألحاق بوميرانيا الشرقية ومجدبرغ، وعدة أسقفيات بإمارة براندبرغ وتنتقل زعامة البروتستانت من أمير سكسونيا إلى أمير براندبرغ .

٥- يعترف الإمبراطور المقدس باستقلال هولندا وسويسرا .

٦- يسمح لأتباع لوثر وكالفن بالحرية الدينية الكاملة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

٧- يتعهد إمبراطور الإمبراطوريةِ الرومانية المقدّسةِ بالتقيد بنصوص معاهدة اغزبرغ، والتي تسمح بممارسة الحريات الدينية لجميع الطوائف النصرانية .

٨- أعادة الولاء والطاعة من قبل جميع الناخبين وأمراءِ لإمبراطور الإمبراطوريةِ الرومانية المقدّسةِ .

٩- تعهدت جميع الدول في حالة حدوث أيّ نزاع في المستقبل عدم تقديم أي مساعدة لأطراف النزاع .

١٠- طبقاً لمعاهدة الصداقةِ المتبادلةِ بين جميع الأطراف تقرر إصدار عفو عامّ .

ويمكن القول أن ابرز نتائج معاهدة وستيفاليا تتمثل في إنها أدت إلى تفكيك الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ومن ثم تحويلها إلى اتحاد هش بين دول ضعيفة ولم يعد ثمة سلطة مركزية

للإمبراطور تسمح له بسن القوانين، أو فرض الضرائب على الدول الأوروبية أو تشكيل الجيوش منها، وتبعاً لذلك فأن صلح وستيفاليا يمثل نهاية عصر الإصلاح الديني والحروب التي ترتبت عليه، وأصبح محتماً على المذهبين البروتستانتي والكاثوليكي أن يتعايشا في ظل التسامح الديني وممارسة الحريات الدينية للطوائف النصرانية المختلفة .

كذلك فأن النتيجة على ارض الواقع كانت واضحة بأن الحرب انتهت لصالح فرنسا والسويد، أما بالنسبة لألمانيا فأنها مأساة فظيعة من دمار وقتلى، لم تتعافى منها إلا بعد وقت طويل . والحقيقة أن هذه الحرب قد مزقت أوروبا وأنهكت اقتصادها فتعد أسوأ حرب دينية عرفتها القارة، كما إنها تعد نتيجة حتمية لحركة الإصلاح الديني وما نتج عنها من انقسام أوروبا إلى معسكرين فهي لم تكن حرباً محلية بل كانت حرباً أوروبية اشتركت فيها دول أوربية كثيرة من اجل تحقيق أطماع وأهداف مختلفة .

كما أن معاهدة وستفاليا عدت المعاهدة الأولى في التاريخ الحديث التي شكلت القانون الدولي الحديث والخاص في مسألة سيادة الأرض وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول من قبل دولة أخرى، والتي عدت من المخالفات الأولى للقانونِ الدوليِ، الأمر الذي أدى إلى ظهور بداية جديدة للعديد مِنْ الولاياتِ ذات السيادةِ في أوروبا، فضلاً عن ذلك حاولت المعاهدة تَنظيم مجالاتِ الحياةِ الاجتماعية والسياسية للدول الأوروبية. بإنهاء تلك الحرب وفق سيادة القانون الدولي الذي أفرزته تلك المعاهدة والاعتماد على عاملي الدين والأخلاق .